

عنوان المداخلة : دور الروابط الحجاجية و أثرها في الانسجام النصي

(دراسة تطبيقية في سورة الأعراف)

المحور الثاني : علم اللغة الحديث وتحليل الخطاب

د. ابتسام صغيور

أستاذ مؤقت : جامعة المسيلة

مقدمة :

تعد الروابط من الآليات الحجاجية اللغوية الهامة التي يتركز عليها التحليل الحجاجي التداولي للخطاب وسنركز في هذه الدراسة على بعض استعمالاتها وتحليلاتها من خلال تفصيلها ومتابعتها تطبيقيا في سورة الأعراف لمعرفة مدى قوتها الحجاجية ومن ثم مساهمتها في الربط والتقريب بين المعاني وتحقيق هدف التأثير والإقناع وكذا دورها في تحقيق الانسجام النصي ومن أجل هذا الغرض كانت الإشكالية التالية :

- ما هي أهم الروابط الحجاجية التي وردت في سورة الأعراف وما مدى انتشارها فيها ؟

- كيف ساهمت - هذه الروابط - في تماسك و انسجام الخطاب ، و إلى أي مدى ساهمت في تحقيق الغاية الغاية التأثيرية الإقناعية ؟ هذا ما تسعى الدراسة لتفصيله من خلال تحديد معنى الحجاج من المنظور اللغوي التداولي و كذلك تحديد مفهوم الرابط الحجاجي وأهميته لتبني أخيرا كيفية مساهمة هذه الروابط تشكيل البنية العامة للخطاب وترابطه وانسجامه مما يسهل على المتلقي استقبال هذا الخطاب وفهمه .

1 - الحجاج من المنظور اللغوي التداولي :

يؤكد حبيب اعراب أن " دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو شأن التداولية ، ولهذا الاعتقاد ما يبرره إذ بالفعل نجد الخطاب الحجاجي يخضع ظاهريا و باطنيا لقواعد شروط القول و التلقي ، بعبارة أخرى إن كل خطاب حجاجي تبرز فيه مكانة القصدية و التأثير و الفعالية و بالتالي ، قيمة و مكانة أفعال الذوات المتخاطبة " ¹ و لعل هذا ما يبرر الأهمية الواسعة التي تحضى بها الدراسات الحجاجية في ميدان التداولية كون " الحجاج " فعل يقوم على اللغة و يكمن فيها، و من ثم فإن الحجاج بنظر كل من ديكرو ducrot و أنسكومبر anscomber ² : " لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى ، ولكنه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب " ³ وهو ما يؤكد على أن البنى الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة و بالتالي فإنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج ولا الحجاج عن اللغة .

ويتكلم أبو بكر العزاوي عن الحجاج بأنه: تقدم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة و هو يتمثل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب ، و بعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها . إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع (les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط و لكنها محددة أيضا و أساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللغوية التي يتم توظيفها . ⁴ فالحجاج موجود في صميم بنية اللغة ذاتها ولا ينفصل عنها .

2 - مفهوم الروابط الحجاجية :

إن الجملة عند أنسكومبر و ديكرو (أي المستوى الإعرابي و المعجمي) تتضمن وجهة حجاجة تحدد معناها قبل أي استعمال لها ، ولكن القول (أي استعمال الجملة في المقام) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها و هذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلا بموجب الوجهة الحجاجة المسجلة فيه و مأتى هذه الوجهة الحجاجة هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها و تضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجة وهذه المكونات اللغوية هي ما يعرف أو يسمى بـ" الروابط و العوامل الحجاجة " التي تحدد طرق الربط بين النتيجة وحجتها⁵. و قد اهتم الباحثان " ديكرو " و " أنسكومبر " بهذه المكونات نظرا لفائدتها في في إحداث الانسجام في الخطاب و قيادة المستمع إلى الاتجاه الذي يرومه المتكلم . وتنقسم هذه المكونات إلى " روابط " و " عوامل " حجاجة تتمركز أساسا في أبنية اللغة و لذلك فإنها تمثل المؤشر الأساسي و الدليل القاطع على أن الحجاج له مؤثر في بنية اللغة ذاتها كما تعد من المفاهيم الأساسية في التصور الحجاجة اللساني كونها أدوات تساعد على عقد العلاقات بين الحجج و النتائج في صورة تناسب سياق المتلقي ومحيطه . وما يهنا في هذه الدراسة هو التأكيد على دراسة " الروابط الحجاجة " التي يتحدد مفهومها بأنها: مكونات لغوية تداولية تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر ضمن استراتيجية حجاجة واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجة (بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة من الحجج) ومن بين هذه الروابط : الواو ، الفاء ، حتى ، بل ، لكن ، لا سيما ، إذن ، بما أن ، إذ ، ربما ، تقريبا ... إلخ و تؤدي هذه الروابط وظيفة جوهرية داخل الخطاب فهي تعمل على ربط و تنظيم بنية النص و تنشئ التماسك والانسجام داخله كي نصل في النهاية إلى وحدة كلية تفضي مقدماته أو حججه إلى نتائجه و بذلك تعد أهم العناصر الحجاجة في الحجاج من خلال جعلها للنص الحجاجة نصا مترابطا منسجما ، فوصل الحجج و النتائج بروابط لغوية يجعلها متعلقة ببعضها البعض ما يجعل من النص نصا متماسكا نسجما يؤدي دوره الإقناعي المنوط به و هو إقناع المتلقي ، و من أبرز الروابط وأكثرها انتشارا في سورة الأعراف الروابط الآتية :

1 - الربط الحجاجة (الواو) :

تعد " الواو " في الحجاج من أهم الروابط الحجاجة لأنها تجمع بين دورين :

الأول : هو الجمع بين الحجج و رصفها و ربط المعاني

الثاني : هو تقوية هذه الحجج و زيادة تماسكها بعضها ببعض و تقوية كل منها بالأخرى من أجل تحقيق النتيجة المتبتغة .

و ينتج عن الربط بـ " الواو " علاقة " التابع " التي تجعل المخاطب يلقي حججه بطريقة متسلسلة ومرتبة ، فالربط الحجاجة بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكونات الخطاب وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد.

وتعمل " الواو " على الربط النسقي أفقيا على عكس السلم الحجاجة⁶ .

و من أمثلة الربط الحجاجة " بالواو " في سورة الأعراف :

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾⁷

فالربط الحجاجة بواسطة " الواو " في هذه الآية قام بالوصل بين الحجة و الأخرى ، كما قام بترتيب هذه الحجج و رصفها لتشكيل البنية العامة و من ثم تقوية و تدعيم النتيجة التي هي " إباحة النعم والنهي عن الإسراف " . فالحجج هنا جاءت

تعجز حتى عن نصر نفسها



ن = عدم استحقال الأضنام للعبادة و الله وحده هو الخالق و الجدير بالعبادة

لقد أتت (الواو) الثانية لتثبيت النتيجة النهائية و ترسيخها ولتعضد وتؤكد ما قبلها من حجج ، فقد أفادت ربط الحجج بعضها ببعض و ترتيبها منطقيا حتى يسهل على السامع الانتقال بينها و إدراكها تدريجيا ليصل إلى الحجة الأقوى التي تثبت النتيجة النهائية ، و هي وجوب عبادة الله تعالى وحده و أن لا غيره يستحق العبادة .

كما أسهم الرابط الحجاجي (الواو) في سورة الأعراف في المساعدة على ربط المعاني ببعضها و تقويتها وكذلك على متابعتها ما ساهم في انسجام الخطاب و تشكل بنية حجاجية تساعد المحاجج على إثبات فكرته لدى المخاطب وترسيخها في ذهنه وهذا بفضل التتابع بين الجمل الذي أحدثه (الواو) حيث كان القول في أثر القول مما ساهم في التلقي التدريجي للحجج التي تقود إلى الاقتناع و التسليم " وهنا يكمن دور الروابط الحجاجية و استثمار دلالاتها في ترتيب الحجج و نسجها في خطاب واحد متكامل ، إذ تفصل مواضع الحجج بل وتقوي كل حجة منها بالحجة الأخرى فعندما يكون تحت تصرفنا عدد من المعطيات فإننا نمتلك إمكانات هائلة للربط بينها و يعد الاختيار بين هذه الروابط الخطابية مهم بقدر أهميته في التصنيفات أو في الصفات وبالإضافة إلى وظائف الروابط الحجاجية في الربط النسقي على المستوى الأفقي فإنها تتجاوز ذلك أيضا إلى الترتيب العمودي . " ¹⁰ على نحو ما سنرى في الأمثلة التالية مع الروابط الحجاجية المختلفة التي نتناولها في هذه الدراسة .

2 - الرابط الحجاجي (لكن) :

يعد الحرف (لكن) من الروابط الحجاجية التي من مهامها سوق الحجج أو الربط بين الحجج المتعارضة وكذلك هي من الروابط المدرجة للحجج القوية ، ونحوها تعد (لكن) حرفا مشبها بالفعل من أخوات (إن) تدخل على الجملة الإسمية فننصب المبتدأ اسما لها و ترفع الخبر خبرا لها ... " وهو حرف استدراك ومعنى الاستدراك أن تنسب حكمها لاسمها ، يخالف المحكوم عليه قبلها . كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر ، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتدراكت بخبره إن سلبا وإن إيجابا . ولذلك لا يكون إلا بعد كلام - ملفوظا به أو مقدر - ... و لا تقع لكن إلا بين متنافيين ، بوجه ما ... قال الزمخشري : لكن للاستدراك ، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا و إيجابا فتستدرك بها النفي بالإيجاب ، و الإيجاب بالنفي ... و التغاير في المعنى بمنزلة في اللفظ . " ¹¹

وهذا يوضح أن المرسل يستدرك بها بعد نفي أو نهي أو ما شاكلهما ، و مثال ذلك : ¹²

- لماذا تكذب عند التحقيق معك ؟

- ما كذبت ، لكن احتلت في كلامي

إذ عمد إلى نفي الكذب أولا ، ثم ارتقى بحججه درجة و هي " إثبات الحيلة " فقد استعملت (لكن) كمؤشر حال للاحتياط و التحفظ على النتيجة و هو ما أدى إلى نتيجة معارضة وناقضة للنتيجة التي قبلها ما جعل الحجة في النتيجة الثانية أقوى من الحجة في النتيجة الأولى .

و من نماذجها في سورة الأعراف :

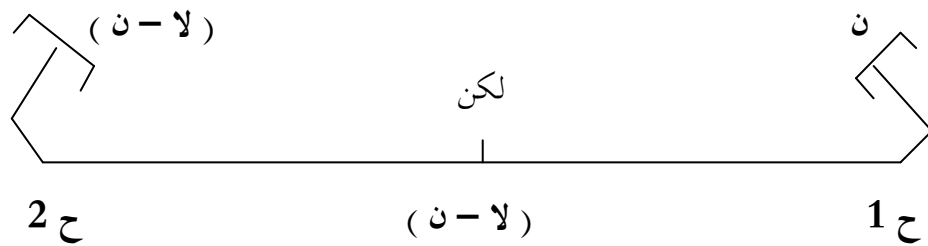
المثال الأول :

قال تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ *¹³ و قال أيضا على لسان سيدنا هود عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ *¹⁴ ففي الآيتين الكريمتين جاءت " لكن " بين متنافيين متناقضين و متعارضين إذ أن هنالك تعارض وتعارض بين كل من الضلالة و السفاهة اللتان تتقدمان الرابط الحجاجي (لكن) و بين الرسالة الربانية التي تتميز بأسمى المعاني الروحية وأنبهها والتي تتلوا ذلك الرابط .

فالقسم الأول في الآيتين يتضمن حجتي نفي الضلال ونفي السفاهة ، بينما يتضمن القسم الثاني بعد الرابط " لكن " إثبات النتيجة المعارضة و هي " الرسالة " و هذا فقد جاء الإثبات استدراكا للنفي أي نفي الحجة السابقة وهي اتهام الرسل بالضلال و بالسفاهة إنكارا لرسالتهم و نفيها لها فقد جاءت الحجة فقد جاءت الحجة ما بعدها ناسخة لها مثبتة للرسالة باستعمال الرابط (لكن) يقول الطاهر بن عاشور : "والاستدراك الذي في قوله " و لكني رسول " لرفع ما توهموه حين خالف دينهم ، أي هو في حال رسالة عن الله ، مع ما تقتضي الرسالة من التبليغ و النصح والإخبار بما لا يعلمونه ... وشأن (لكن) أن تكون جملتها مفيدة معنى يغاير معنى الجملة الواقع قبلها ، ولا تدل عليه الجملة السابقة وذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعية له (لكن) فلا بد من مناسبة بين مضموني الجملتين ... وأكثر وقوعها بعد جملة منفية [كما هو الحال في الآيتين] ؛ لأن النفي معنى واسع ، فيكثر أن يحتاج المتكلم بعده إلى زيادة بيان فيأتي بالاستدراك . " ¹⁵

فالحجة الأولى تخدم نتيجة وهي أن الضال والسفيه يستحيل أن يكون رسولا ولا يليق بمقام النبوة السامي لأنه لا يستحقها بل من غير المعقول أن تنسب النبوة له أما الحجة الثانية في القسم الثاني " ولكني رسول من رب العالمين " فقد تضمنت حجة تخدم النتيجة المضادة للنتيجة السابقة وعليه فالتكلم قدم الحجة الثانية باعتبارها الحجة الأقوى وعليها تترتب نتيجة الخطاب كله .

و بم أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنها توجه القول كله نحو النتيجة المضادة (لا - ن) وتوضح هذه العلاقة الحجاجية على شاكلة الرسم البياني : ¹⁶



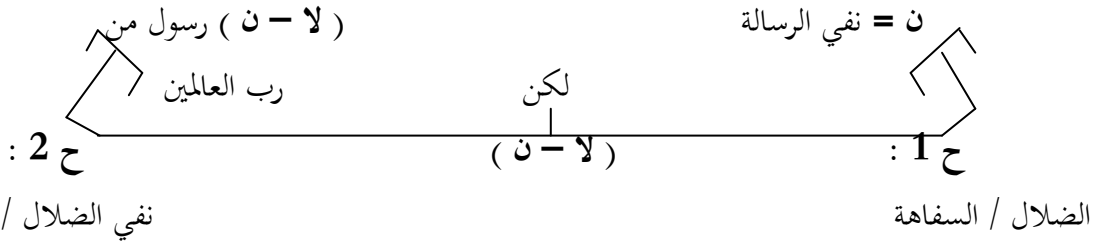
حيث :

(لا - ن) = النتيجة المضادة

و

= رمز يشير إلى العلاقة الحجاجية بين الحجج و النتيجة

و عليه فإن وظيفة الرابط الحجاجي (لكن) في الآيتين يتوضح من خلال العلاقة الحجاجية و فق الشكل الآتي :



فالحجج المتضمنة في الجزء الأول من الآيات " إنا لنراك في ضلال مبين " و " إنا لنراك في سفاهة " موجهة لصالح نتيجة من نمط (أنت لست برسول / نفي النبوة) أو عدم الاعتراف برسالة و نبوة كل من نوح وهود عليهما السلام ، وبم أن القوم كذبوا فقد جاء القسم الثاني من الآيات متضمنا لحجة تخدم النتيجة المضادة ل (ن) وهي نفي الضلال ونفي السفاهة ومن ثم النتيجة المضادة (لا - ن) وهي رسول من رب العالمين .

3 - الرابط الحجاجي (بل) :

وهو من الروابط التي وظيفتها سوق الحجج أو المدرجة للحجج المتعارضة أو المتعاددة مثله مثل (لكن) وتكمن حججته في " أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة ، وذلك بأن بعضها منفي و بعضها مثبت . لأن بل أساسا حرف إضراب ، وله حالان ¹⁷

الأول : أن يقع بعده مفرد

و الثاني : أن يقع بعده جملة :

فإن وقع بعده مفرد فله حالان :

أ - إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو : (اضرب زيدا بل عمرا) و (قام زيد بل عمر) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه و لا يحكم عليه بشيء و يثبت الحكم لما بعده . فهو يستخدم إذن للإثبات .

ب - و إن تقدمه نفي أو نهي نحو : (ما قام زيد بل عمر) و (لا تضرب زيدا بل عمرا) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده .

أما الحال الثانية وهي و قوع " بل " بعد جملة : فيكون له معنى " الإضراب " أي إضرابا عما قبلها ويكون إما :

أ - إبطالا : نحو قوله تعالى : " أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق "

ب - و إما الانتقال من غرض إلى غرض أو الترك للانتقال من غير إبطال نحو قوله تعالى : " قد أفلح من تزكى ، و ذكر

اسم ربه فصلى بل توثرون الحياة الدنيا ¹⁸

وقد وردت " بل " في سورة الأعراف في موضعين :

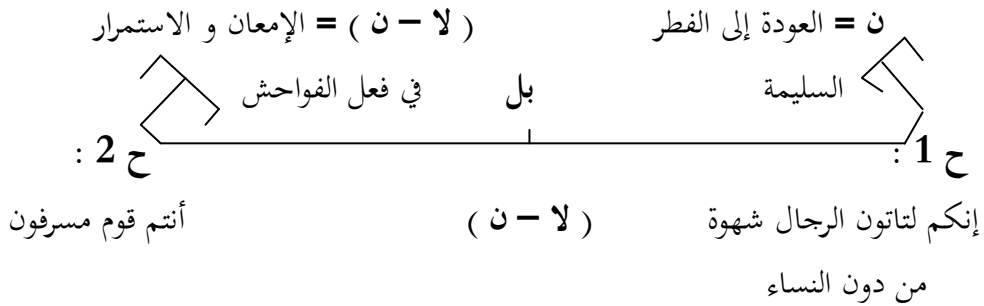
الأول :

قوله تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

مُسرِفُونَ* ¹⁹

وقد وردت " بل " هنا للإضراب على جهة الترك للانتقال من غرض إلى غرض من غير إبطال فلوط عليه السلام ينكر على قومه إتيانهم لفاحشة لم يأت بها أحد من العالمين قبلهم ويوبخهم على استرسالهم في ذلك بتلك الفضاعة ، فهم لا يقيمون وزنا لنصح لوط ولا يولونه اهتماما بل هم مستمرين في فعل المنكرات غير عابئين بنهيه، وقد جاءت " بل " في هذا السياق من غير إبطال فبعد أن كان الغرض في البداية هو " الإنكار " أي إنكاره على قومه إتيانهم الفواحش انتقل إلى غرض " الدم والتحقير و التنبيه إلى حقيقة حالهم " ²⁰ فهم قوم مسرفون يجاوزون الحد في الشهوات وفي الباطل دون أدنى حق ودون عمل أي اعتبار للفطرة التي جبلوا عليها .

و بم أن " بل " الحجاجية في هذه الآية جاءت مرادفة ل " لكن " الحجاجية فإن " بل " الحجاجية الواردة في الآية تقيم علاقة مركبة من علاقيتين حجاجيتين فرعيتين : علاقة بين الحجة "الإنكار على إتيانهم الفاحشة " و النتيجة " العودة إلى الفطرة السليمة " وعلاقة حجاجية ثانية نتيجتها مضادة أي بين الحجة الأقوى الي تلي " بل " وهي " بل أنتم قوم مسرفون " والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة وهي أنهم " لن يسمعوا و لن يتوقفوا " فهما نتيجتان مضمترتان و تتضح لنا البنية الحجاجية للعلاقات الحجاجية في الآية عبر الشكل الآتي :



حيث : ح 1 و ح 2 حجتان و (ن) : تشير إلى النتيجة التي تخدم تلك الحجج

و (لا - ن) : تشير إلى النتيجة المضادة للنتيجة السابقة (ن)

و الرمز : [] يشير إلى العلاقة الحجاجية

إن الرابط الحجاجي " بل " قد ربط بين الحجج والنتائج ، والنتيجة المضادة (لا - ن) التي أصبحت هي النتيجة الموجهة القول كله فالحجة التي أتت بعد " بل " الحجاجية كانت أقوى من الحجة التي سبقتها وبالتالي كانت نتيجتها أقوى والنتيجة التي سبقتها كانت تعزز من قوتها تلك ؛ فهؤلاء القوم يأتون الفواحش بأصنافها وأشكالها ولما فرغوا منها كلها ابتدعوا فواحش أفضع منها وتمادوا فيها فلذلك هم قوم مسرفون لا يعرفون حدًا ولا اكتفاء ولن يسمعوا النصح كما لن يكفوا عن إتيان فواحشهم المقرفة

الموضع الثاني : الذي وردت فيه " بل " الحجاجية في سورة الأعراف هو :

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * ²¹

(بل) رابط حجائي

ح : (ب) ← ح : (أ)
أقوى من

4 - الرابط الحجائي (حتى) :

وتربط أو تتوسط (حتى) دليلين ، كما تصل إلى تأكيد أحد الدليلين الذي يخدم في الأخير النتيجة التي يقصدها المتكلم ، ولا يكون الربط أو الجمع بين الحجتين أو الدليلين إلا بتوفر ثلاثة شروط :

أولها : أن القسم الأول من الكلام الذي يسبق (حتى) يشكل حجة تخدم نتيجة معينة .

ثانيها : أن الحجة السابقة لـ (حتى) و اللاحقة لها يشتركان في الوجهة الحجائية ، أي أنهما يخدمان النتيجة نفسها .

و ثالثها : أن الحجة التي تلي (حتى) تضيف طاقة حجائية للحجة التي تسبق الرابط و لكن لا تكون أقوى منها.²⁵

فوظيفة الرابط (حتى) تتحدد في ترتيب الحجج فهي من الروابط المساوقة للحجج والمدرجة للحجج القوية لأنها تقود الحجج كلها لخدمة نتيجة واحدة و تكون الحجج الواردة بعد هذا الرابط أقوى من الحجج التي سبقته . ويوافق الرابط

الحجائي (حتى) كما يرى أبو بكر العزاوي : "الوصف الذي قدمه كل من ديكر و أنسكومير للأداة المقابلة لـ (حتى)

الحجائية في اللغة الفرنسية أي الأداة " Mème " ، فالحجج المربوطة بواسطه هذا الرابط تنتمي إلى فئة حجائية واحدة

classe argumentative ، أي أنها تخدم نتيجة واحدة ثم إن الحجة التي ترد بعد " حتى " هي الأقوى و هو ما

يقصده النحاة بقولهم : " أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها " و لذلك فإن القول المشتمل على الأداة " حتى " لا يقبل

الإبطال و التعارض الحجائي.²⁶ ومن الجدير بالذكر أن الرابط الحجائي (حتى) يعد أداة " من أدوات السلم الحجائي ،

لدورها في ترتيب منزلة العناصر ولما لمعانيها و استعمالاتها من سلمية.²⁷ ومن نماذج البنية الحجائية في سورة الأعراف والتي

يكون فيها الرابط (حتى) حجائيا النماذج الآتية :

المثال الأول : قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * ﴿ 28

فالرابط الحجائي في هذه البنية الحجائية ربط بين مجموعة من الحجج المتتابعة تتدرج قوتها سلميا لتخدم نتيجة واحد ،

فالذين كذبوا بآيات الله :

ح 1 : لا تفتح لهم أبواب السماء (و هي كلمة جامعة معنى الحرمان و الخذلان بكل أصنافهما في الدنيا و الآخرة)

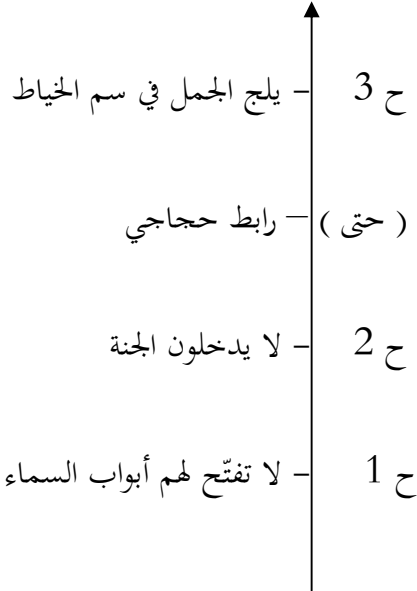
ح 2 : لا يدخلون الجنة

- الرابط الحجاجي (حتى)

ح 3 : يلج الجمل في سم الخياط .

فكل هذه الحجج سواء ما كان قبل الرابط (حتى) أو بعده تساندت جميعا لخدمة نتيجة واحدة من قبيل أنهم " لن ينالوا عفو الله تعالى قطعا و أن مصيرهم هو الخلود في النار أبدا " ، لكن ما نلاحظه هو أن الحجة الواردة بعد " حتى " كانت الحجة الأقوى و الأظهر لأنها أكدت على استحالة ذلك قطعا وتبيسا و ذلك بقوله " حتى يلج الجمل في سم الخياط " وهو أمر مستحيل منطقيا وفعليا : فقد جعل لانتفاء دخولهم الجنة امتدادا مستمرا ، إذ جعل غايته شيئا مستحيلا وهو أن " يلج الجمل في سم الخياط " أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل - وهو البعير - في سم الخياط و هو أمر لا يكون أبدا . " ²⁹ فالحجة التي جاءت بعد حتى كانت الأقوى في تثبيت النتيجة وإن كانت الحجج التي قبلها قد ساندتها و دعمتها . و يمكن ترتيب تلك الحجج وفق السلم الآتي :

ن = خلودهم في النار لاستحالة نيلهم لعفو الله تعالى عنهم



5 - الرابط الحجاجي (الفاء) :

هي من الروابط الحجاجية التي تفيد في ترتيب الحجج وربط النتائج بالمقدمات أي عبر الربط بين السبب والنتيجة باستعمال الرابط الحجاجي (الفاء) الذي يؤمن الانتقال بينهما فهي بذلك تقوم بخصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حجاجية مركبة من علاقات حجاجية بين الحجج والنتائج تقوم أساسا على " التابع " و لذا تعد هذه العلاقة الحجاجية - التي تقوم على التابع - من أقدر العلاقات التي تفيد في بناء النص و تولده و انسجامه فهي تقوم بالربط بين الأحداث مما يجعل الفعل الحجاجي عند المتلقي مقنعا وبالتالي تسهم في توجيه سلوكه لأنها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية يحرص فيه المحاجج على ربط الأحداث و الأفكار ربطا سببيا فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة³⁰ وما يتميز به هذا النوع من الترابط التباعي عن غيره من الترابطات المنطقية الأخرى هو خاصية " الترتيب " الزمني فهو الأساس فيه .³¹ ولذلك عدت (الفاء) من الروابط المدعمة للحجج المتساوقة نظرا للدور الذي تؤديه في الجمع بين الحجج و تقويتها ودعمها .

بالإضافة إلى ذلك فإن (الفاء) تتوفر على طاقة حجاجية عالية ، لكونها تدخل ضمن " ما يسمى بالسبيل التفسيري في الحجاج la voie explicative ، و هي تقنية في الحجاج تثير الانتباه وتستجلب الإصغاء و تيسر بالتالي قبول الحجة القاطعة . " 32

و من أمثلة البنية الحجاجية في سورة الأعراف المركبة بواسطة الرابط الحجاجي (الفاء) ما يلي :

المثال الأول : قوله تعالى :

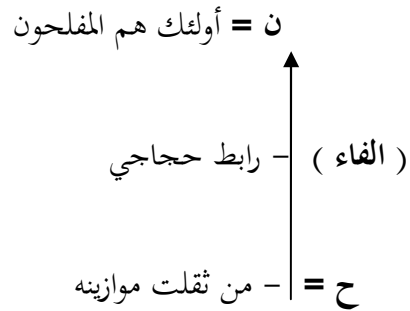
﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ * ﴾ 33

وقصد من ذلك أن الأثر الناتج عن الوزن ، هو تفاوت درجات العاملين بين من آمن و بين من كفر وظلم نفسه وأثر ذلك من ثواب أو عقاب لأن الجزء من جنس العمل و قد تفرع عن هذا الوزن بالحق : " قوله تعالى : " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون " فهو تفصيل للوزن ببيان أثره على قدر الموزون . ومحل التفرع هو قوله تعالى : " فأولئك هم المفلحون " وقوله " فأولئك الذين خسروا أنفسهم " إذ ذلك مفرع على قوله : " فمن ثقلت موازينه " وقوله : " فمن خفت موازينه " 34

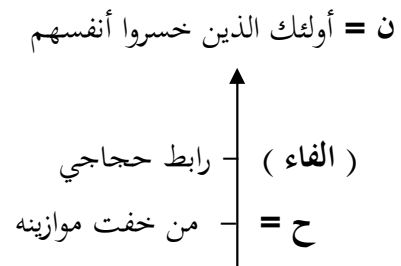
إن الرابط الحجاجي (الفاء) في الآية الأولى قد ربط بين متغيرين حجاجين حيث جاء قوله تعالى " فأولئك هم المفلحون " استئنافا و جوابا لما سبقه و هو الشرط " فمن ثقلت موازينه " .

وكذلك الأمر في الآية التي تليها (و من خفت) / (فأولئك) حيث ربطت (الفاء) في (فأولئك) بين السبب أو المتغير الحجاجي " و من خفت موازينه " وبين النتيجة " فأولئك الذين خسروا أنفسهم " فالفاء السببية في هذا المقام ربطت بين جملة الشرط و جملة جواب الشرط أي بين المسببات و النتائج ربطا منطقيا .
و يمكن التمثيل لهذه العلاقة السببية التراتبية عبر السلمين الحجاجين الآتين :

ح 1 :



ح 2 :



المثال الثاني : قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * ﴾³⁵

يذكر الله تعالى عباده بنعمة إيجاد هذا النوع من المخلوقات وهو " الإنسان " الذي صورّه في أحسن تقويم وأتمّ نعمته عليه بتفضيله عن باقي المخلوقات وإكرامه بأن أمر الملائكة الأبرار بالسجود له مما أيقظ عداوة الشيطان له حسدا و غلا وتكبّرا وإشارة إلى الجبلّة التي في نفسه والتي تدفعه إلى عصيان أوامر الله تعالى ومخالفة الملائكة الذين استجابوا لأمر الله تعالى فور أن أمرهم به .

إن الرابط الحجاجي (الفاء) في هذه الآية قد ربط بين متغيرين حجاجيين أي بين حجة و نتيجة حيث جاء " سجود الملائكة " عليهم السلام استجابة فورية و تنفيذاً لأمر الله تعالى " اسجدوا لآدم " (الفاء) تتابعية سببية ربطت بين الطلب أو الأمر و بين جوابه وقد جاءت مدعمة للحجج التتابعية التي تخدم نتيجتين محتملتين في الوقت ذاته وهي " بيان تكريم الجنس البشري عن باقي المخلوقات " وهو ما ترتب عليه " إظهار إبليس لتمرده منذ بدء الخليقة " و يمكن التمثيل لهذه العلاقة حجاجيا كما يلي :

ح : _____ | _____
اسجدوا لآدم (الفاء)
رابط حجاجي
و تفضيله عن باقي المخلوقات = إكرام الجنس البشري

6 - الرابط الحجاجي (إن) :

غالبا ما يرتبط الرابط الحجاجي (إن) بغرض التأكيد والإثبات للشيء ، و هذا ما يجعل من هذه البنية القرآنية أقوى حجاجيا وأكثر إقناعا لأن الرابط (إن) في الحجاج هو من الأدوات الفعالة حجاجيا لم يوفره هذا النوع من الربط من إثبات و تأكيد للأمور و القضايا و الحجج ، فيكون بذلك أقدر على الإقناع كون التأكيد على الكلام و إثباته يزيل ما حوله من شك أو ارتياب و إبهام و هو ما يترك أثرا في نفس المتلقي و يحثه على تقبله و الاقتناع به ، و لذا فإنه من الروابط التي تسهم في ربط السبب بالنتيجة عبر تقوية و دعم النتيجة و تعليلها ما يحمل المخاطب على القبول و الإذعان ومن ثم الإقناع ، و يؤكد على الغرض التأكيدي الإثباتي لـ (إن) قول الجرجاني : " أن المتكلم يلجأ إلى استعمال (إن) حين يريد أن يبين أم ما بعدها يصح به ما قبله و يحتج له و يبين وجه الفائدة فيه ."³⁶ و من أمثلتها في سورة الأعراف :

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * ﴾³⁷ لقد دلّ المعنى العام للآية على توبيخ الله سبحانه وتعالى لآدم وحواء بعد أكلهما من الشجرة التي نهاهما عنها وحذرهما من مكائد الشيطان للإيقاع بهما وحثهما على معصية الله تعالى إلا أن ما وقع أن إبليس اللعين قد أغواهما فعلا ووسوس لهما للأكل من الشجرة ومعصية أمر الله تعالى لهما بأن يقربا الشجرة فلما فعلا ذلك ووقعا في المعصية بدت لهما سؤاتهما وناداهما الله تعالى نداء غضب

وتوبيخ على ما فعلاه وظهر ذلك في قوله " ألم أنهكما ... و أقل لكما " فقد امتزج النهي هنا بالتحذير وهو ما جعل وقع المعصية أشد و قد أكد على هذا التحذير عبر الرابط (إن) التي أفادت التأكيد و إثبات عداوة الشيطان المبينة والشديدة للجنس البشري فعداوته لا تخفى على من ينجر وراء وساوسه وقد ظهرت نتائجها واضحة باستحلاب غضب الله تعالى بعصيان أوامره ومن ثم العقوبة المترتبة على ذلك وهي بأن بدت سواتهما أولا ثم خروجهما من الجنة و هبوطهما إلى الأرض . فالرابط (إن) ساهم في التعليل و ربط السبب الذي هو " الأكل من الشجرة " بالنتيجة التي هي " غضب الله تعالى وعقابه لهما " و تعليل ذلك من خلال التأكيد على عداوة إبليس لهما .
و يمكن التمثيل للمسار الحجاجي للرابط (إن) وفق المسار الآتي :

ح : ————— ن :

الشیطان عدو مبين للبشر (إن) غضب الله تعالى
رابط حجاجي و عقوبته لآدم و حواء

المثال الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾³⁸
ارتبطت الجملة " رحمة الله قريب من المحسنين " بالجملة التي قبلها بالرابط (إن) الذي يدل على التوكيد المفيد لتعليل النهي عن الفساد في الأرض ، يقول الطاهر بن عاشور : " و جملة " إن رحمة الله قريب من المحسنين " واقعة موقع التفرع على جملة (و ادعوه) ، فلذلك قرنت بـ (إن) الدالة على التوكيد وهو مجرد الاهتمام بالخبر إذ ليس المخاطبون بمتمردين في مضمون الخبر ، و من شأن (إن) إذا جاء على هذا الوجه أن تفيد التعليل و ربط مضمون جملتها بربط الجملة التي قبلها فتغني عن فاء التفرع ، ولذلك فصلت الجملة عن التي قبلها فلم تعطف لإغناء (إن) عن العاطف "³⁹
و يمكن التمثيل لهذا الرابط حجاجيا عبر المسار :

ح : ————— (إن) ————— ن :

أدعوه خوفا و طمعا
رابط حجاجي رحمة الله قريب
من المحسنين

الخلاصة:

و من خلال تحليلنا السابق يتأكد لنا أن تلك الروابط الحجاجية التي وردت في سورة الأعراف قد ساهمت في حجاجيته وتسهيل تلقي الخطاب وفهمه والاقتناع به ، فقد ساعدت الروابط بالوصل بين الحجج و النتائج و تتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها أو سببيتها أو تثبيت النتيجة أو الانتقال والترقي ومنها ما أفاد في تدعيم الحجج بعضها بعضا ومساندتها أو تقوية النتيجة و توجيه القول... إلخ ، ولم يقتصر دورها على ما ذكرنا فحسب وإنما تعداه لتساهم تلك الروابط في تشكيل البنية الحجاجية اللغوية العامة للخطاب في سورة الأعراف حيث ساعد هذا الربط على بناء وتكامل الخطاب وتوالد النص و انسجامه و توافقه مما يسهل على المخاطب أن يتلقى هذا الخطاب وأن يفهمه وتتحقق بذلك النتيجة المرجوة وهي " التأثير و الإقناع " ولا يقتصر هذا على المتلقي في عصره و إنما يتجاوزه ليصل إلى المتلقي الكوني عبر مختلف العصور لتبين لنا روعة هذا الخطاب الرباني و تقنياته و أساليبه المبهرة في المحاجة و الاستمالة .

الهوامش و الإحالات :

- 1- حبيب اعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، مجلة عالم الفكر ، ع : 1 ، مج : 30 ، 2001 م ، ص : 101 .
 - 2- يعذ كل من ديكرو وأنسكومير قطبا نظرية الحجاج في اللغة ، وقد سعيا لبناء نظرية حجاجية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم بصدد توجيهه خطاب الحجاجي للمتلقى ، و قد اعتبرا أن معنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي للمزيد ينظر مؤلف أبو بكر العزاوي : اللغة و الحجاج و كذلك مقال الحجاجيات اللسانية عند أنسكومير وديكرو لرشيد الراضي .
 - 3- جيل ديكلارك ، فن الحجاج بنى بلاغية و أدبية ، تر : صابر الحباشة ، ضمن كتاب : لسانيات الخطاب ، الأسلوبية و التلفظ و التداولية ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، ط 1 ، سوريا ، 2010 م ، ص : 246 .
 - 4 - أبو بكر العزاوي ، الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، إعداد حافظ إسماعيل علوي، ج 1 ، عالم الكتب الحديث ، ط1، إربد، الأردن، 2010م ، ص: 59 .
 - 5- ينظر : شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، فريق البحث في البلاغة و الحجاج ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة ، (د . ت) ، ص : 375 – 376 .
 - 6- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ط 1 ، بيروت . لبنان ، 2004 م ، ص : 472 .
 - 7 - سورة الأعراف ، الآية : 31 .
 - 8- محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج 8 ، الدار التونسية للنشر ، (د . ط) ، ، تونس ، 1984 م ، ص : 95 .
 - 9- سورة الأعراف ، الآيتين : 196 ، 197 .
 - 10- استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، : 473 .
 - 11- استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، ص : 509 .
 - 12- ينظر : نفسه ، ص : ن .
 - 13 - سورة الأعراف ، الآية : 61 .
 - 14 - سورة الأعراف ، الآية : 67 .
 - 15 - التحرير و التنوير ، ج 8 ، ص : 193 .
 - 16- أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ن ط 1 ، الدار البيضاء ، 1426هـ . 2006 م ، ص : 59 .
 - 17 - استراتيجيات الخطاب ، ص : 514 .
 - 18- ينظر أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص : 61 .
 - 19 - سورة الأعراف ، الآية : 81 .
 - 20 - التحرير و التنوير ، ج 8 ، ص : 231 .
 - 21 - سورة الأعراف ، الآية : 179 .
 - 22 - التحرير و التنوير ، ج 9 ، ص : 183 .
 - 23 - نفسه ، ص : 184 .
 - 24 - اللغة و الحجاج ، ص : 64 .
 - 25 - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص : 335 .
 - 26 - اللغة و الحجاج ، ص : 73 .
 - 27 - استراتيجيات الخطاب ، ص : 517 .
 - 28 - سورة الأعراف ، الآية : 40 .
 - 29 - التحرير و التنوير ، ج 8 ، الآية : 127 .
 - 30- ينظر : حازم طارش حاتم ، التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية) ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، 2014 م .
- ص : 119
- 31 - عبد الله صولة ، الحجاج ، أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة - ليريلمان و تيتكا ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم - مرجع سابق - ، ص : 332 .
 - 32 - التراكيب التعليلية في القرآن الكريم (دراسة حجاجية) ، ص : 118 .

- 33 - سورة الأعراف ، اللآيتان : 8 ، 9 .
- 34 - التحرير و التنوير ، ج 8 ، ص 31 .
- 35- سورة الأعراف ، الآية : 11 .
- 36 - دلائل الإعجاز ، ص : 211 .
- 37 - سورة الأعراف ، الآية : 22 .
- 38 - سورة الأعراف ، الآية : 56 .
- 39- التحرير و التنوير ، ج 8 ، الآية : 176 .